الفصل الثالث

علومه ومنهجه ومؤلفاته

علومه

ولابن سينا كتب ورسائل عديدة تشتمل على أغراض شتى ، وفنون مختلفة في الفلسفة ، والطب ، والادب ، تستكشف من خلالها شخصيته المتعددة النواحي ، وقد كان اعجوبة دهره في الأنتاج والتأليف ، وغزارة العلم والمعرفة ، والتفوق فيها على النظراء ، سهل الاسلوب واضح العبارة مجيد في نثره ونظمه ، تصطبغ كتبه بمسحة من الجمال والجلال ، يريد أن يعبر في جميع ما يكتبه عن نفسيته الجياشة وآماله الواسعة ، ذو طموح في طلب المعالي ، وهمة لاتعرف الكلل في العمل ، وثبات ، ووثبات ، وقوة ارادة . ندر أن اجتمعت لأحد غيره . كرّس كل وقته في طلب العلم ، والتأليف حتى انه لم ينم ليلة بكاملها ، وما كان مطلب من مطالب العلم ليتوفر عليه ثلاث

سنوات دون أن يوفي فيه على الغاية ، فهو من أعجب العبقريين وأبلغ الكتاب .

قال عنه ابن خلكان : إنه كان نادرة عصره في علمه وذكائه حتى قاربت تصانيفه المئة مابين مطول وقصير في فنون شتى (١) .

فانه خلال قيامه بأعباء المناصب ، والاشتغال بالسياسة وفي مثار الحروب ، وثنايا الفتن الأهلية ، وما مني به من التشريد والاضطهاد والأسفار الكثيرة . وإنشغاله في المعالجات الطبية ومع كل هذه المشاكل والعقبات التي أحاطت به تمكن من تأليف كتب كثيرة ، ورسائل متنوعة في مختلف العلوم حتى صارت مؤلفاته مرجعاً لعلماء الشرق في القرون الوسطى والأجيال المتعاقبة .

فقال عنه ابن خلدون : وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء ، والاشارات ، والنجاة (٢) .

وقال الشهرستاني : إن طريقة ابن سينا أدق عند الجماعة ونظره في الحقائق أغوص (٣)

وقد اعجب به الغربيون إعجاباً كبيراً ولقبه كتابهم بأرسطو (٤)

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) المقدمة ص ٤١٥ .

(٣) الملل والنحل ج ٣ ص ٢٦ .

(٤) فيلسوف يوناني ولد سنة ٣٨٥ وتوفي سنة ٣٢٢ ق . م واليه انتهت فلسفة اليونانيين ، وهو خاتمة حكمائهم .

الاسلام ، وأبقراطه (١) فتدارسوا كتبه ، وساروا على نهجه في الطب ، والفلسفة قروناً عديدة حتى انهم استعاضوا بكتابه القانون عن مؤلفات جالين (٢) والرازي (٣) .

وقيل كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط وكان ميتاً فأحياه جالينوس (٤) وكان ناقصاً فأكمله ابن سينا (٥) .

وقال عنه الدكتور سارطون : ان ابن سينا أعظم علماء الاسلام ، ومن أشهر مشاهير العلماء العاملين .

وقال أيضاً : إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلاسفة في القرون الوسطى (٦) .

وقال المؤرخ الامريكي الدكتور كمستون : يعتبر ابن سينا معجزة من معجزات العقل الراجح ، ويجوز إنه لم يسبقه ، ولم يظهر بعده من العلماء من يدانيه في حدة الذكاء ، وسرعة بنبوغ العقل ، بالنسبة لعمره ، مع عزم ونشاط ، لا يعرف الملل ، وهمة شاسعة الحدود ، وقد جمع في فسيح صدره

«١» أبقراط بن اقليدس بن أبقراط ولد بجزيرة (كوس) وعاش خمساً وتسعين سنة ، وكان اشهر الأطباء الأقدمين ، وتوفي في مدينة لاريسا سنة ٣٧٥ — ٣٥٠ ق . م .

«٢» جالينوس .

«٣» ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد في الري عام ٢٤٠ وتوفي في بغداد سنة ٣٢٠ للهجرة ، وسمي بجالينوس العرب .

«٤» جالينوس : هو أشهر الأطباء اليونانيين القدماء بعد أبقراط .

«٥» الأعلام ج ١ ص ٢٥٠ .

«٦» نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص ١١٧ .

كتابات أرسطو ، ووعى في خزانة معارفه حكمه ، وقواعده (١) .

فلا غرو إذا كانت لابن سينا هذه الشهرة الواسعة ، والمنزلة الرفيعة بين العلماء في الشرق والغرب حتى طار صيته في الآفاق وبلغ النهاية في الاعجاب والاطراء ، فان مؤلفاته قد زادت في الثروة العلمية زيادات جعلته من مفاخر الانسانية ومن أشهر علمائها وحكمائها ، فلقد أبدع في الانتاج وأفاض على هذا الانتاج ، الحكمة والفلسفة ، مما أدّى إلى حركة فكرية واسعة .

وقد بلغت كتب الشيخ ورسائله مابين مطبوعة ومخطوطة ومفقودة زهاء المائتين أو تزيد ، كتبها في أوقات مختلفة ، وأزمان متفاوتة ، وهي تشتمل على مختلف العلوم والفنون ، في الطب ، والفلسفة ، والأدب ، وقد أشبعها الباحثون وصفاً وتحليلاً ، وصنفها المؤرخون الى أنواع ، وأبواب متعددة .

الطب

ترجع شهرة ابن سينا لبراعته في الطب ، على انه لم يتفرغ له كتفرغه الى الفلسفة ـ فهو يقول : وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة (٢) ، وقد

---

(١) تاريخ الطب من عهد الفراعنة الى القرن الثاني عشر ، سلسلة اقرأ عدد ٤٦ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) انظر ص ١١ .

(مقابل ٥٣)

صورة ابن سينا كما تخيله البروفسور
باسم عمر في سنة ١٩٣٢ للميلاد ٠

أدخل في نظريات الطب الأسباب الأربعة المنسوبة الى ارسطو ، وانكشفت له من أسباب المعالجات ، وتركيب الأدوية ما لم ينكشف لغيره ، إلا أنه لم يكن ذا عناية بالجراحة لاعتقاده انها تدل على نقص في وسائل المعالجة ، وانها أعمال يدوية لا تتفق وشرف المهنة الطبية ، حتى قال عنه كامبل : انه جعل القضايا المنطقية أفضل من المعالجات المبنية على التجربة والاختبار(١) .

وابن سينا أول من اكتشف الطفيلية الموجودة في الانسان والمسماة [الانكلستوما] وكذلك المرض الناشئ عنها والمسمى بالرهقان ، أو الانكلستوما ، وقد كان هذا الاكتشاف في كتابه القانون في الطب في الفصل الخاص بالديدان المعوية ، وسمى هذه الطفيلية الدودة المستديرة (٢) .

ومن تجاربه ومعالجاته ، انه صدع يوماً فتصور أن مادة تريد النزول الى حجاب رأسه ، وانه لا يأمن ورماً يحصل فيه ، فأمر باحضار ثلج كثير ، ودقّه ولفّه في خرقة ، وتغطية رأسه بها ، ففعل ذلك حتى قوي الموضع ، وامتنع عن قبول المادة ، وعوفي (٣) .

ومن ذلك أن امرأة مسلولة أمرها أن لا تتناول شيئاً من الأدوية سوى جلنجبين السكّري (٤) ، حتى تناولت على الأيام مقدار

---

(١) مقدمة السرطان ص ٢٦ .

(٢) نواح مجيدة ص ١١٨ ، فجر القومية العربية ص ١٣٤

(٣) انظر ص ٢١ .

(٤) الجلنجبين السكري : هو معجون الورد المركب بالسكر ، والجلاب المركب بالعسل ، منهج الدكان ص ١٦٦ .

سائة من وشفيت (١) .

كما كان بارعاً في الطب النفساني وقد رويت عنه في ذلك روايات كثيرة منها ، أن فتى من آل بويه اصيب بالماليخوليا وتوهم أنه بقرة سائمة ، فأصبح يقلد الأبقار في خوارها ، ويأكل ويشرب معها ممتنعاً عن مواكلة بني الانسان ، وما زالت حاله كذلك حتى ضعفت قواه ، وهزل بدنه ، فعرضه أهله على الأطباء ، فعجزوا عن علاجه ، فاستدعي ابن سينا وسأل المريض عن حاله ، فأجابه المريض بأنه اصبح بقرة يأكل ماتأكله الأبقار ، ويفعل ما تفعله ، فقال له ابن سينا : اذن نذبحك قال المريض إفعل ما تشاء ، فأمر ابن سينا أن يقيد المريض بحبل ، وأن يلقى على الأرض ، وأن يؤتى بسكين حاد ، فلما احضر السكين أهوى به على المريض كأن يريد ذبحه فلما قرب من نحره والسكين في يديه ، قال له ما بال هذه البقرة هزيلة ؟ انها لا تصلح للذبح . قال المريض : انها تصلح للذبح فاذبح . فقال ابن سينا : لا ان أذبحها حتى تمتلي لحماً وشحماً . فقال : وماذا أفعل حتى أصير سميناً ، فأجابه تأكل كثيراً ، وتشرب كما يأكل الناس ويشربون . فقال : أو تذبحني إن فعلت وأصبحت سميناً ؟ فقال : نعم ثم أخذ على نفسه العهود والمواثيق أن يفعل كما أمر ، وأخذ المريض يأكل ويشرب منذ ذلك الحين كما يصنع الآدميون ، فعادت اليه صحته الطبيعية ، وقوي بدنه ، فعاد اليه عقله ، وذهب

---

(١) انظر ص ٢١ .

(مقابل ٥٥)

ابن سينا يستقبل مرضاه .

عنه مرضه ، وزاره ابن سينا بعد ذلك ، فلما رآه معافى البدن سليم العقل قال له : ما بال هذه البقرة قد سمنت ؟ فأجاب : نعم ، وقد أصبحت عاقلة (١) .

القانون في الطب

ومن أشهر كتبه في الطب كتاب القانون ، وهو من اكبر مؤلفاته الطبية وأنفسها ، واكثرها انتشاراً في الجامعات والكليات ، وقد شغل علماء اوربا ، ولا يزال موضع اهتمامهم وبحثهم ، ودراستهم ، كما أصبح مرجعاً للدراسات الطبية في جامعتي مونبليه ولوفان الى منتصف القرن السادس عشر ، وكان عمدة الأساتذة في جامعة فينا وجامعة فرنكفورت طوال القرن السادس عشر .

قال عنه الدكتور أوزلر : إن قانون ابن سينا بقي انجيل الطب مدة طويلة لم ينلها أي مؤلف آخر (٢) .

وقال توربجر : انهم كانوا ينظرون الى كتاب القانون كأنه وحي معصوم ، ويزيدهم اكباراً له تنسيقه المنطقي الذي لا يعاب ، ومقدماته التي كانت تبدو لأبناء تلك العصور كأنها القضايا المسلمة ، والمقررات البديهية (٣) .

وقال الاستاذ كستون : ما على الانسان إلا أن يقرأ

« ١ » جهار مقاله ص ٨٥ ، ٨٦ ، وفي علم النفس ج ١ ص ٣٥٩ ، العلاج النفساني ص ٥٥ الى ٥٧ .

« ٢ » تطور الطب الحديث ص ٩٨ .

« ٣ » سلسلة اقرأ عدد ٦ : ص ١٢٠ .

جالينوس ثم ينتقل منه الى ابن سينا ليرى الفارق بينهما فالأول غامض ، والثاني واضح كل الوضوح ، والتنسيق والمنهج المنتظم سائدان في كتابة ابن سينا ، ونحن نبحث عنهما عبثاً في كتابة جالينوس .

ويقول أيضاً : لعله لم يظهر قبله ولا بعده نظير لهذا النضج الباكر (١) .

وكتاب القانون يبحث في نحو مائة وستين مادة من العقاقير الطبية ، ويظهر الفرق بين التهاب المنصف الصدري ، وذات الجنب . كما يعترف بطبيعة السل المعدية ، وانتشار الامراض بواسطة الماء والتربة ، جمع فيه ابن سينا ما عرفه في الطب عن الامم السابقة الى ما استحدثه من نظريات وآراء وما ابتكره من ابتكارات هامة ، وما اكتشفه من أمراض سارية وأمراض منتشرة (٢) .

ويروي العلماء اليوم إن طب ابن سينا في كتابه القانون يختلف عن طب الرازي ، وابن زهر (٣) ، وانه قد اتبع مذهب أبقراط المعدل بطريقة أرسطو ، مع ان أسلافه قد اتبعوا مذهب جالينوس .

وينقسم القانون الى خمسة أقسام :

«١» المصدر السابق ص ١٢٤ .

«٢» فجر القومية العربية ص ١٣٤ .

«٣» زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي طبيب اندلسي توفي في قرطبة سنة ٥٢٥ للهجرة .

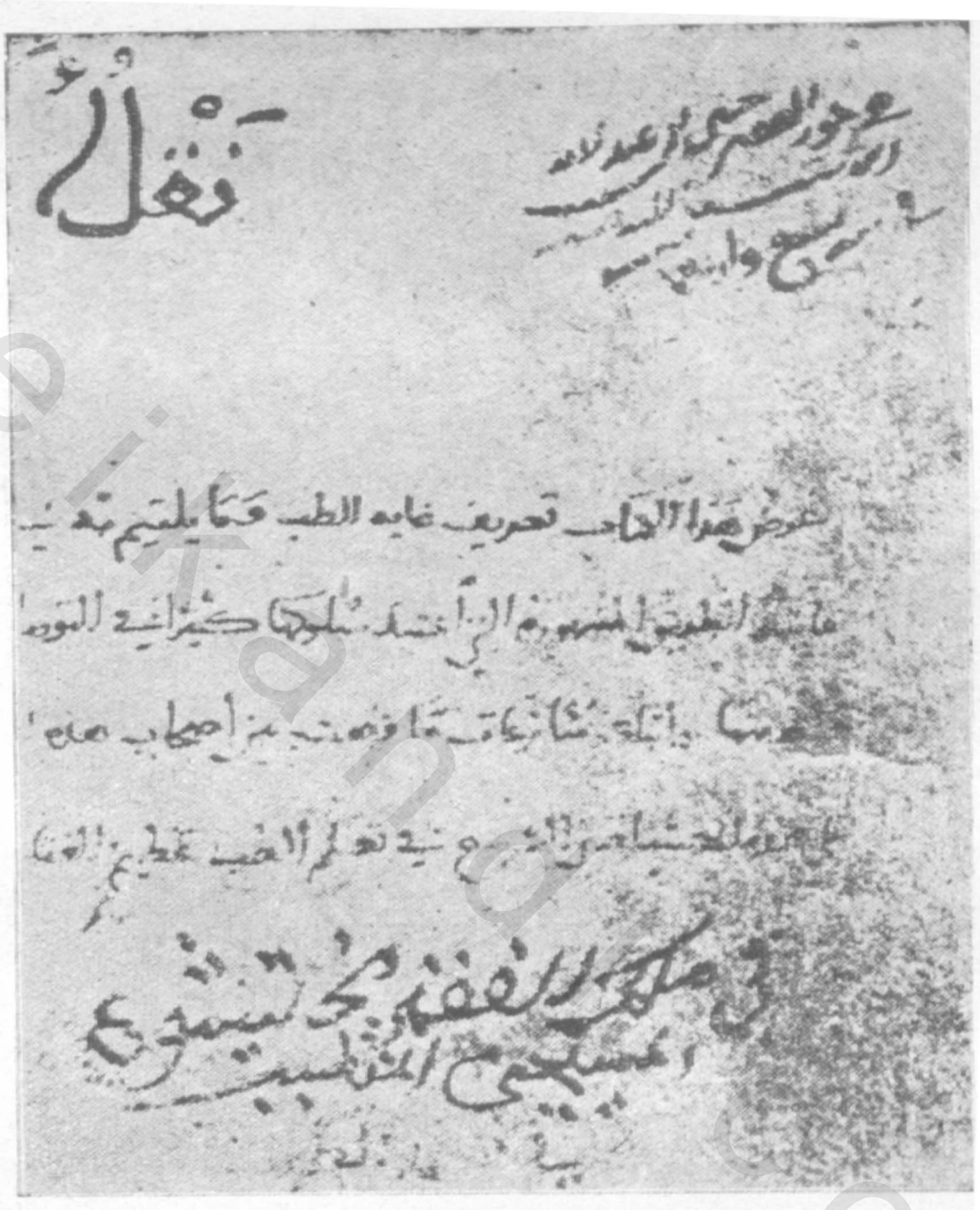

(مقابل ٥٧)

الصفحة الاولى من كتاب تعريف غاية الطب ، وقد ورد فيها « فى حوزة الفقير حسين بن عبدالله بن سينا المتطبب فى سنة سبع واربعمائة » .

القسم الأول والثاني : يشتملان على وظائف الأعضاء وعلم الأمراض ، وحفظ الصحة .

والقسم الثالث والرابع : يبحثان في وسائط المداواة .

والقسم الخامس : يشتمل على وصف العلاج ، وتركيبه

ولكتاب القانون شروح كثيرة المعروف منها :

شرح قطب الدين الشيرازي(١) انتهى من شرحه عام ٧٦٤ هـ .

وشرح الأمشاطي (٢) وهو مزين بالرسوم والأشكال .

كما شرح كلياته ابن النفيس (٣) واختصره وسماه الموجز .

وشرح كلياته فخر الدين الرازي (٤) .

وشرح كلياته قطب الدين المصري (٥) .

واستخرج مفرداته موسى بن يونس (٦) وسماه كتاب في مفردات الفاظ القانون .

وذكر الجوزجاني ضمن مؤلفات ابن سينا المفقودة كتابين ،

« ١ » قطب الدين محمد بن مسعود الشيرازي المتوفي عام ٧١٠ للهجرة .

« ٢ » محمود بن احمد الامشاطي ، الحنفي المولود سنة ٨١٠ للهجرة .

« ٣ » علاء الدين بن ابي الحزم ، القرشي ولد في دمشق وسكن مصر وتوفي بها سنة ٦٨٧ للهجرة ، وله ثمانون سنة .

« ٤ » فخر الدين محمد بن عمر ضياء الدين ، التيمي ، البكري ، الطبرستاني ، الرازي المولد والمنشأ ، ولد سنة ٥٤٣ للهجرة وتوفي سنة ٦٠٦ في مدينة هرات عن ٦٣ عاما .

« ٥ » قطب الدين ابراهيم بن علي المصري المتوفي عام ٧١٨ للهجرة .

« ٦ » موسى بن يونس بن منعه ولد يوم الخميس ١٥ صفر سنة ٥٥١ بالموصل وتوفي ١٤ شعبان سنة ٦٣٩ للهجرة .

وهما تنقيح القانون ، وحواشي القانون .

وترجمه الى اللغة اللاتينية جيراد الكريموني وذلك سنة ١١٨٧ للميلاد ، وطبع لاول مرة في روما عام ١٤٧٦ في اربعة مجلدات . كما ترجم الى اللغة العبرية .

وترجمه الى لغة الاردو الهندية السيد الحسنين الموسوى ، الكنتوري ، وطبعت هذه الترجمة في عام ١٣٤١ للهجرة .

وفي سنة ١٩٣٠ ظهرت ترجمة جديدة لبعض أقسامه باللغة الانكليزية .

الفلسفة

وابن سينا فيلسوف عصر كامل ، أنزله مفكروا العرب منزلة رفيعة فلقب في حياته بالشيخ الرئيس ، وبعد مماته بلقب فيلسوف الاسلام ، والمعلم الثالث ، وتعود شهرته في الفلسفة لاسلوبه الذي ساعده على نشر آرائه ، ومعارفه ، وكتابته للموسوعات الكبيرة بما لم يسبق اليه مثيل ، فهو بحق منظم للفلسفة الاسلامية ، وكثير من نظرياته قائم الى اليوم .

وفي مقدمة الآخذين عنه في الفلسفة مارتوما الاكويني رأس المتكلمين الكاثوليك النصارى .

وليس في الدنيا فيلسوف لم ينظر في كلام ارسطو ، وكلام ابن سينا (١) .

(١) مجلة العرفان ج ١٨ ص ٤٠٧ .

صورة ابن سينا الموجودة فى كلية باريس.

(مقابل ٥٩)

صورته الموجودة فى كلية طب مدريد ،
وقد رسمت فى ٩ مارت سنة ١٧٧٠ .

obeikandl.com

وقد نسبه القديس توما دكينو الى افلاطون ، وذكره بالاكبار والاجلال .

كما قرأ فلسفته روجه باكون (١) .

وسار على منهجه ديكارت (٢) .

ولابن سينا في الفلسفة آراء ونظريات مبتكرة ، لا يزال بعضها يدرس في كليات اوربا لاسيما الكاثوليكية ، وهو وإن اعتمد على فلسفة ارسطو ، واستقى منها كثيراً ، فانه أضاف اليها ، وأخرجها بنطاق أوسع .

قال الجوزجاني : وكان قد اختصر اقليدس ، والارثماطيقي والموسيقي ، وأورد عشرة أشكال في اختلاف النظر ، وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق اليها ، كما وضع في حال الرصد آلات ما سبق اليها ، وأورد في اقليدس شبهاً ، وفي الارثماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقي مسائل غفل عنها الأولون (٣) .

وقد انكر تحول المعادن بعضها الى بعض مخالفاً بذلك آراء الكثير من علماء زمانه .

قال : نسلم بامكان صبغ النحاس بالفضة ، والفضة بصبغ

---

(١) فرنسيس باكون ، فيلسوف انكليزي ولد سنة ١٥٦٦ وتوفي سنة ١٦٢٦ للميلاد .

(٢) ديكارت : فيلسوف رياضي فرنسي يعد مؤسس الفلسفة الحديثة ولد سنة ١٥٩٦ وتوفي سنة ١٦٥٠ للميلاد .

(٣) انظر ص ١٩ ، ٢٢ .

الذهب ، إلا أن هذه الامور المحسوسة تشبه أن لا تكون هي الفصول ـ « الخواص » التي تصير بها هذه الاجساد أنواعاً ، بل هي أعراض ولوازم والفصول مجهولة ، وإذا كان الشيء مجهولاً فكيف يمكن أن يقصد قصد إيجاد وافناء .

وقد شك فيما ذهب اليه أرسطو من تشابه الثوابت وتساوي أبعادها ، واتحاد مراكزها في كرة واحدة .

قال في الشفاء : على انني لم يتبين لي بيـــاناً واضحاً ان الكواكب الثابتة في كرة واحدة ، أو في كرات ينطبق بعضها على بعض إلا باقناعات ، وعسى أن يكون ذلك واضحاً لغيري .

والحكمة عنـــد ابن سينا صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه ، وأما الواجب عليـه عمله مما ينبغي أن يُكتَسَب فعـــله لتشرف بذلك نفسه ، وتستكمل ، وتصير عالماً معقولاً مضاهياً العـــالم الموجود ، وتستعـد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقـــة الانسانية (١) .

وتنقسم الحكمة عنده الى قسمين :

[أ] نظري مجرد ، وهو الذي الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقني بحال الموجودات التي لا يتعلق وجودها بفعل الانسان ، ويكون المقصود منه إنما هو حصول رأي فقط ، مثـل علم التوحيد ، وعلم الهيئة ، وغايته الحق .

---

(١) اقسام العلوم العقلية .

وينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ — العلم الاسفل ويسمى العلم الطبيعي .

٢ — العلم الاوسط ويسمى العلم الرياضي .

٣ — العلم الاعلى ويسمى العلم الإلهي .

وإنما كانت هكذا أقسامه ، لأن الامور التي يبحث عنها .

أما أن تكون اموراً ، حدودها ووجودها متعلقان بالمادة الجسمانية ، والحركة مثل اجرام الفلك ، والعناصر الاربعة وما يتكون منها ، وما يوجد من الاحوال خاصاً بها مثل الحركة ، والسكون ، والتغير ، والاستحالة ، والكون ، والفساد ، والنشوء ، والبلى ، والقوى ، والكيفيات التي عنها تصدر هذه الاحوال ، وسائر ما يشبهها .

وأما أن تكون اموراً وجودها متعلق بالمادة . والحركة ، وحدودها غير متعلقة بها مثل التربيع ، والتدوير ، والكروية ، والمخروطية ومثل العدد وخواصه ، فانك تفهم الكرة من غير أن تحتاج في تفهمها الى فهم ، إنها من خشب ، أو ذهب ، أو فضة ، ولا تفهم الانسان إلا وتحتاج الى أن تفهم أن صورته من لحم وعظم ، وكذلك تفهم التقعير من غير حاجة الى فهم الشيء الذي فيه التقعير ، ولا تفهم الفطوسة إلا مع هذا كله ، فالتدوير ، والتربيع ، والتقعير ، والاحديداب لا توجد إلا فيما يحملها من الاجرام الواقعة في الحركة .

وأما أن تكون اموراً لا وجودها ولا حدودها مفتقرين

الى المادة ، والحركة ، أما من الذوات فمثل ذات الاحد الحق رب العالمين ، وأما من الصفات فمثل الهوية ، والوحدة ، والكثرة ، والعلة ، والمعلول ، والجزئية ، والكلية ، والتمامية ، والنقصان ، وما أشبه هذه المعاني .

[ب] والقسم العملي هو الذي ليس الغاية فيه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات ، بل ربما يكون المقصود فيه حصول صحة رأي في أمر يحصل بكسب الانسان ليكتسب ما هو الخير منه فلا يكون المقصود حصول رأي فقط ، بل حصول رأي لأجل عمل ، وغايته الخير .

وينقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الاول : ويعرف به أن الانسان كيف ينبغي أن يكوّن أخلاقه وأفعاله ، حتى تكون حياته الاولى والاخرى سعيدة .

القسم الثاني : ويعرف منه أن الانسان كيف ينبغي أن يكوّن تدبيره لمنزله المشترك بينه ، وبين زوجه ، وولده ومملوكه ، حتى تكون حاله منتظمة ، مؤدية الى التمكن من كسب السعادة .

القسم الثالث : ويعرف به أصناف السياسات والرئاسات والاجتماعات ، المدنية الفاضلة والردية ، ويعرف وجه إستيفاء كل واحد منها ، وعلة زواله ، وجهة انتقاله .

وهذا الجزء من الحكمة العملية يعرف به وجود النبوة وحاجة

نوع الانسان في وجوده ، وبقائه ، ومنقلبه الى الشريعة حسب قوم قوم ، وزمان زمان .

ويعرف به الفرق بين النبوة الالهية ، وبين الدعاوي الباطلة كلها » (١) .

المنطق

المنطق قواعد عامة لعلم معروف ، جمعها ابن سينا ونسقها ، وأضاف اليها آراءه الخاصة ، وهو في رأيه مجرد عن المادة ، وانه مدخلاً ضرورياً للفلسفة لأولئك الذين لا يستطيعون التفكير بالسليقة تفكيراً صحيحاً ، أما الذين يستطيعون ذلك فيمكنهم أن يستغنوا عنه ، كما أن البدوي القح مستغن عن علم النحو لما فيه من السليقة التي تعصمه من اللحن ، وهو الآلة العاصمة الذهن عن الخطأ فيما نتصوره ، ونصدق به ، والموصلة الى الاعتقاد الحق باعطاء أسبابه ونهج سبله (٢) .

وينقسم علم المنطق عند الشيخ الرئيس الى تسعة أقسام :

القسم الاول : يتبين فيه أقسام الالفاظ والمعاني ، من حيث هي ثلاثة ومفردة .

القسم الثاني : يتبين فيه عدد المعاني المفردة الذاتية الشاملة بالعموم لجميع الموجودات من جهة ما هي تلك المعاني من غير شرط تحصلها في الوجود ، أو قيامها بالعقل .

«١» اقسام العلوم العقلية .

«٢» منطق النجاة ص ٣ .

القسم الثالث : يتبين فيه تركيب المعاني المفردة بالسلب ، والايجاب حتى تصير قضية ، وخبراً يلزمه أن يكون صادقاً أو كاذباً .

القسم الرابع : يتبين فيه تركيب القضايا حتى يتألف منها دليل يفيد علماً بمجهول ، وهو القياس .

القسم الخامس : يعرف منه شرائط القياس فى تأليف قضاياه التي هي مقدماته حتى يكون ما يكتسب به يقينا لا شك فيه .

القسم السادس : يشتمل على تعريف القياسات النافعة فى مخاطبة من نقص فهمة ، أو علمه عن تبين البرهان فى كل شيء فى التي لابد منها للمحاورات التي يراد منها إلزام محمود ، أو تحرز عن إلزام مذموم ، والمواضيع التي تكتسب منها الحجج فى الجدل ، والوصايا المجيب والسائل .

القسم السابع : يشتمل على تعريف المغالطات التي تقع فى الحجج ، والدلائل ، والمجاز ، والسهو ، والزلة فيها ، وتعديدها بأسرها كم هي ، والتنبيه على وجه التحرز منها .

القسم الثامن : يشتمل على تعريف المقاييس الخطابية البلاغية النافعة فى مخاطبة الجمهور على سبيل المشاورات ، والمخاصمات فى المشاعرات أو المدح أو الذم ، أو الحيل النافعة فى الاستعطاف والاسئالة ، والاغراء ، وتصغير الامر ، وتعظيمه ، ووجوه المعاذير ، والمعاتبات ، ووجوه ترتيب الكلام فى كل قصة قصة ، وخطبة خطبة .

القسم التاسع : يشتمل على الكلام الشعري انه كيف يجب أن يكون في فن فن ، وما أنواع التقصير والنقص فيه (١).

الرياضيات

وينقسم العلم الرياضي عند ابن سينا الى أربعة أقسام أصلية :

١ ـــ علم العدد : ويعرف منه حال أنواع العدد وخاصية كل نوع في نفسه ، وحال نسب بعضها من بعض ، ويضم علم الجمع والتفريق بالأرقام الهندية ، وعلم الجبر والمقابلة .

٢ ـــ علم الهندسة : ويعرف منه حال أوضاع الخطوط ، وأشكال السطوح ، وأشكال المجسمات ، والنسب كلها الى المقادير كلها بما هي مقادير ، والنسب التي لها بما هي ذوات أشكال وأوضاع ، وعلم جر الأثقال ، وعلم الأوزان والموازين ، وعلم الآلات الجزئية ، وعلم المناظر والمرايا ونقل المياه .

٣ ـــ علم الهيئة : ويعرف فيه حال أجزاء العالم في أشكالها ، وأوضاع بعضها عند بعض ، ومقاديرها وأبعادها بينها ، وحال الحركات التي بها تتم الحركات ومن فروعه عمل الزيجات والتقاويم .

وفي علم الهيئة إشتغل ابن سينا إشتغالاً عملياً ، فقام بأرصاد مختلفة ، وأبحاث متنوعة .

قال الجوزجاني : وجرى ليلة بين يدي الأمير علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الأرصدة القديمة

---

(١) اقسام العلوم العقلية .

فأمر الأمير الشيخ الاشتغال برصد الكواكب ، وأطلق له من الأموال ما يحتاج اليه ، وابتدأ الشيخ به ، وولاني إتخاذ آلاتها ، واستخدام صناعها ، حتى ظهر كثير من المسائل (١)

وقد إخترع ابن سينا آلة تشبه آلة « الوريه » وهي آلة تستعمل لقياس طول أصغر من أصغر أقسام المسطرة المقسمة أي لقياس الأطوال بدقة متناهية ، ولا يخفى ما لهذا الاستنباط من أثر في تقدم القياسات (٢) .

٤ — علم الموسيقي : ويعرف منه حال النغم ، ويعطي العلة في إتفاقها واختلافها ، أو حال الأبعاد والأجناس ، والجمع ، والانتقالات ، والايقاع ، وكيفية تأليف اللحون والهداية الى معرفة الملاهي كلها بالبرهان ، ومن فروعها اتخاذ الآلات العجيبة مثل الأرغل وما أشبهه » (٣) .

الطبيعيات

والعلم الطبيعي عند ابن سينا يأخذ في جملته بالسنة الأرسطاطاليسية .

وينقسم عنده الى ثلاثة أقسام أصلية (٤) .

١ — الأجسام ، وما يتبعها من الحركة ، ثم الزمان ، والمكان ، والخير ، والنهاية ، واللانهاية

---

(١) انظر ص ١٩ .

(٢) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية ص ١١٨ .

(٣) اقسام العلوم العقلية .

(٤) طبيعيات النجاة ص ١٩٥ .

٢ — العالم ، وإنه واحد ، ثم الفلك وحركته المستديرة ثم الأجسام الاولى ، والتخلخل ، والتكاثف ، ثم آثار الحرارة والبرودة في الاجسام .

٣ — النفس وقواهـا ؛ واكتسابها للعلوم ، والادراك والتخيل .

وهو علم نظري . . . وموضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة في التغير ، وبما هي موصوفة بانماء الحركات ، والسكونات (١) .

ثم يقول : « الحكمة الطبيعية منها ما يقوم مقام الأصل ، ومنها ما يقوم مقام الفرع .

وأقسام ما يقوم منها مقام الاصل ثمانية :

القسم الاول : وبه تعرف الامور العامة لجميع الطبيعيات مثل المادة ، والصورة ، والحركة ، والطبيعة ، والانسان بالنهاية ، وغير النهاية ، وتعلق الحركات بالمحركات ، واثباتها الى محرك أول واحد غير متحرك ، وغير متناهي القوة لا جسم ، ولا في جسم .

القسم الثاني : يعرف به أحوال الاجسام التي هي أركان العالم ، وهي السموات وما فيهن ، والعناصر الاربعة وطبايعها وحركاتها ، ومواضعها ، وتعريف الحكمة فيما صنعها ، ونضدها .

القسم الثالث : يعرف منه حال الكون ، والفساد ، والتوليد

(١) المصدر السابق ص ٩٨ .

والنشوء ، والبلى ، والاستحالات مطلقا من غير تفصيل ويبين فيه عدد الاجسام الاولى القابلة لهذه الاحوال ، ولطيف الصنع الالهي في ربط الأرضيات بالسموات ، واستبقاء الانواع على فساد الاشخاص بالحركتين السماويتين اللتين أحدهما شرقية ، والاخرى غربية منحرفة عنها ، ومواجهة لها ، ويحقق ان هذه كلها بتقدير العزيز العليم .

القسم الرابع : يتكلم فيه في الاحوال التي تعرض في العناصر الاربعة قبل الامتزاج لما يعرض لها من أنواع الحركات ، والتخلخل ، والتكاثف بتأثير السموات فيها ، فيتكلم بالعلامات والشهب ، والغيوم ، والأمطار ، والرعد ، والبرق ، والهالة ، وقوس قزح ، والصواعق ، والرياح ، والزلازل والبحار ، والجبال .

القسم الخامس : يعرف منه حال الكائنات المعدنية .

القسم السادس : يعرف منه حال الكائنات النباتية .

القسم السابع : يعرف منه حال الكائنات الحيوانية .

القسم الثامن : يشتمل على معرفة النفس ، والقوى المدركة التي في الحيوانات ، وخصوصاً التي في الانسان ، ويبين إن النفس التي في الانسان لا تموت بموت البدن وإنها جوهر روحاني إلهي .

وفروع الحكمة الطبيعية ستة :

١ — علم الطب : والغرض فيه معرفة مبادئ البدن الانساني ، وأحواله من الصحة ، والمرض ، وأسبابها ،

ودلائلها ليُدفع المرض ، وتحفظ الصحة .

(٢) علم أحكام النجوم : وهو علم تخميني ، والغرض فيه الاستدلال على اشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض ، وبقياسها الى درج البروج وبقياس جملة ذلك الى الارض على ما يكون من أحوال أدوار العالم ، والملك ، والمالك ، والبلدان ، والمواليد ، والتحاويل ، والتسايير ، والاختيارات والمسائل .

(٣) علم الفراسة : والغرض فيه الاستدلالات من التخيلات الحكمية على ما شاهدته النفس من علم الغيب فخيلته القوة المخيلة بمثاله غيره .

(٤) علم الطلسمات : والغرض فيه تمزيج القوى السمائية بقوى بعض الاجرام الارضية ليتألف من ذلك قوة تفعل فعلا غريباً في عالم الارض .

(٥) علم النيرنجات : والغرض فيه تمزيج القوى التي في جواهر العالم الارضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب .

(٦) علم الكيمياء : والغرض فيه سلب الجواهر المعدنية خواصها واكسبتها خواص غيرها ، واكسبة بعضها خواص بعض ليتوصل الى اتخاذ الذهب والفضة من غيرهما من الاجسام » (١) .

« ١ » أقسام العلوم العقلية .

والعلم الالهي ، وهو ما يعرف بعلم : « ما وراء الطبيعة » ومباحثه تنقسم إلى نوعين :

(١) المبادىء العامة للوجود كالوحدة ، والكثرة ، والعلة ، والمعلول ، والقوة ، والحركة ، ثم مبادىء العلوم المختلفه كالطبيعيات ، والرياضيات ، وغيرها .

(٢) النظر في الله وربوبيته ، وفي صفاته ، ودلائل خلقه ، وأبداعه ، ثم النظر في الوحي ، والملائكة ، وربط حوادث العوالم كلها بارادته ، وقدرته ، واختياره ثم في النفس ومجيئها وخلودها .

وأما الأقسام الأصلية للعلم الالهي فهي خمسة :

القسم الأول : النظر في معرفة المعاني العامة لجميع الموجودات من الهوية ، والوحدة ، والكثرة ، والوفاق ، والخلاف ، والتضاد ، والقوة ، والفعل ، والعلة ، والمعلول .

القسم الثاني : هو النظر فى الاصول ، والمبادىء مثل : علم الطبيعيين والرياضيين ، وعلم المنطق ، ومناقضة الآراء الفاسدة فيها .

القسم الثالث : هو النظر في اثبات الحق الأول ، وتوحيده والدلالة على تفرده ، وربوبيته ، وامتناع مشاركة موجود له في مرتبة وجوده ، وإنه وحده واجب الوجود بذاته ووجود ما سواه يجب به ، ثم النظر في صفاته وإنها كيف

تكون صفاته ، وإن المفهوم من لفظ كل صفة ما هو وإن الألفاظ المستعملة في صفاته مثل : الواحد ، والموجود ، والقديم ، والعالم ، والقادر بدل كل واحد منها على معنى آخر ، ولا يجوز أن يكون الشيء الواحد الذي لا كثرة فيه بوجه له معان كثيرة ، كل واحد منها غير الآخر ، ونعرف كيف يجب أن تفهم هذه الصفات له حتى لا توجب في ذاته تعدد و كثرة ، ولا تقدح في الذاتية الحقيقية .

القسم الرابع : هو النظر في اثبات الجواهر الاول الروحانية التي هي مبدعاته ، وأقرب مخلوقاته منزلة عنده ، والدلالة على كثرتها ، واختلاف مراتبها ، وطبقاتها ، والنحو الذي يتعلق بكل منها في تتميم الكل ، وهذه رتبة الملائكة الكروبيين (١) ثم في اثبات الجواهر الروحانية الثانية التي هي بالجملة دون جملة تلك الأولى ، ودون درجاتها ، وطبقاتها ومنازلها وهذه هي الملائكة الموكلة بالسموات ، وحملة العرش ومدبرات الطبيعة ، ومتعهدات ما يتولد في عالم الكون والفساد .

القسم الخامس : في تسخير الجواهر الجسمانية السماوية والأرضية لتلك الجواهر الروحانية التي بعضها عاملة محركة ، وبعضها آمرة مؤدية عن رب العالمين وحيه وأمره ، والدلالة على ارتباط الارضيات بالسماويات والسماوات بالملائكة العاملة والملائكة العاملة بالملائكة المبلغة الممتثلة ، وارتباط الكل بالأمر الذي ما هو إلا واحدة كلمح البصر ، وبيان ان الكل المبدع لا تفاوت

---

(١) الكروبيين : سادة الملائكة والمقربون منهم .

فيه ، ولا فطور ، ولا في أجزائه ، وان مجراه الحقيقي على مقتضى الخير المحض ، وان الشر فيه ليس بمحض ، بل هو حكمة ومصلحة ، وهو يتبع في جهة خير

ولهذه الاقسام فروع منها :

(١) معرفة نزول الوحي والجواهر الروحانية ، التي تؤدي الوحي ، وإن الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً ، ومسموعا بعد روحانيته ، وإن الذي يأتي به تكون له خاصة تصدر عن المعجزات المخالفة لمجرى الطبيعة ، وكيف يخبر بالغيب وإن الابراء الاتقياء كيف يكون لهم إلهـــام شبيه بالوحي وكرامات تشبه المعجزات ؛ وما الروح الأمين وروح القدس وإن الروح الامين من طبقات الجواهر الروحانية الثابتـة ، وإن روح القدس من طبقة الكروبيين .

(٢) علم المعاد ، ويشتمل على تعريف الانسان لو لم يبعث بدنه مثلا لكان له بقاء روحه بعد موته ثواب ، وعقاب غير بدنيين ، وكانت الروح التقية التي هى النفس المطمئنة الصحيحة الاعتقاد للحق العاملة بالخير الذي يوجبه الشرع والعقل فائزة بسعادة وغبطة ، ولذة فوق كل سعادة ، وغبطـة ، ولذة ، وإنها أجل من الذي صح بالشرع ، ولم يخالفه العقل إنها تكون لبدنه ، إلا أن الله تعالى أكرم عباده المتقين على لسان رسله عليهم السلام بموعد بالجمع بين السعادتين الروحانية ببقاء النفس والجسمانية ببعث البدن الذي هو عليه قدير إن شاء هو ، ومتى شاء هو ، ويتبين ان تلك السعادة الروحانية كيف ان العقـل

وحده طريق الى معرفتها ، وأما السعادة البدنية فلا يفي بوصفها إلا الوحي ، والشريعة ، وبمثل ذلك يعرف حال الشقاوة الروحانية التي لأنفس الفجار ، وإنها أشد إيلاماً وإيذاءً من الشقاوة التي اوعدوا بحلولها بهم بعد البعث ، ويعرف أن تلك الشقاوة على من تدوم ، وعمن تقلع ، وأما التي تختص بالبدن فالشريعة أوقفتهم على صحتها دون النظر ، والعقل وحده ، وأما الشقاوة الروحانية فان العقل طريق اليها من جهة النظر ، والقياس ، والبرهان ، والجسمانية تصح بالنبوة التي صحت بالعقل ، ووجبت بالدليل ، وهي متممة للعقل ، فان كل ما لا يتوصل العقل الى إثبات وجوده أو وجوبه بالدليل فانما يكون معه جوازه فقط ، فان النبوة تعقد على وجوده أو عدمه فصلاً ، وقد صح عنده صدقها ، ويتم عنده صدقها ، فيتم عنده ما صح ، وقصر عنه من معرفته » (١)

وللشيخ الرئيس في الفلسفة كتب ورسائل كثيرة ، مطبوع أكثرها عدة طبعات ، وفيما يلي وصف لاصهات كتبه الجامعة لاقسام الفلسفة وهي : الشفاء ، والنجاة ، والاشارات والتنبيهات .

الشفاء

صنفه في همذان حين كان وزيراً ، وأتمه في اصبهان وهو

---

(١) اقسام العلوم العقلية .

هو موسوعة فلسفية ، جمع فيه صنوف الفلسفة وأقسامها ، وقد كان سبب تأليفه ما حكاه الجوزجاني انه سأل الشيخ الرئيس شرح كتب أرسطو فذكر انه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت « ولكن إن رضيت بي بتصنيف كتاب أورد فيه ماصح عندي من هذه العلوم بلامناظرة مع المخالفين ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت » فرضيت به فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه الشفاء (١) .

قال ابن سينا : وأما العامة من مزاولي هذا الشأن فقد أعطيناهم في كتاب الشفاء ما هو كثير لهم ، وفوق حاجتهم ، وسنعطيهم في اللواحق ما يصلح لهم زيادة على ما أخذوه (٢) .

والشفاء أكبر كتبه الفلسفية ، جامع لأقسامها الأربعة وهي : المنطق ، والرياضيات ، والطبيعيات ، والالهيات .

قسم فيه العلوم الى ثلاثة أقسام :

١ — العلوم العالية : وهي الحكمة ، أو ما وراء الطبيعة .

٢ — العلوم الدنيا : وهي الخاصة بالمادة ، وهي الطبيعيات وما يتبعها ، وهي العلوم بكل ما كان له مادة ظاهرة ، وما ينشأ عنها .

٣ — العلوم الوسطى : وهي التي تتعلق تارة بما وراء الطبيعة ، وطوراً بالمادة ، وهي الرياضيات .

وللشفاء شروح ، المعروف منها :

«١» انظر ص ١٦ .

«٢» منطق المشرقيين ص ٤ .

شرح ابي عبد الله محمد بن احمد التحافي .

وشرح الشفاء لمؤلف مجهول ، أوّله الفن الثالث عشر في الالهيات (١) .

واختصره المولى بهاء الدين وسماه تلخيص الشفاء ، وقيل أنه لم يتمه (٢) .

واختصره الخسروشاهي (٣) .

وترجمه الى اللغة اللاتينية أنطون فرانشا وغيره .

وترجمه الى اللغة الفارسية السيد علي بن محمد اسد الله الامامي الاصفهاني .

وعلق عليه صدر الدين الشيرازي (٤) .

والشفاء موجود برمته فى المكتبة الخديوية بمصر (٥) .

وقد طبع الأصل العربي لأول مرة في روما عام ١٥٩٣ للميلاد .

ولابن سينا كتاب اللواحق ، وهو شرح لكتاب الشفاء ويعد من آثاره المفقودة .

«١» منه نسخة خطية بالأزهر رقم ١٦٣٠٣ .

«٢» بهاء الدين بن محمد بن تاج الدين حسن الاصفهاني الشهير بالفاضل الهندي المتوفى عام ١١٣٧ للهجرة .

«٣» شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي ، التبريزي المتوفى عام ٦٥٢ للهجرة .

«٤» محمد بن ابراهيم الشيرازي الحكيم المتأله توفي بالبصرة وهو متوجه الى الحج سنة ١٠٥٠ للهجرة .

«٥» آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٣٣٧ .

وهو مختصر كتاب الشفاء بمنطقه في طريقته الى سابورخواست (١) وهو في حاشية الامير علاء الدولة

قال في مقدمته : فان طائفة من الاخوان الذين لهم حرص على اقتباس المعارف الحكمية ، سألوني أن أجمع لهم كتاباً يشتمل على ما لابد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز عن العامة ، وينحاز الى الخاصة ، ويكون له بالاصول الحكمية إحاطة (٢).

والنجاة من كتب ابن سينا الفلسفية المحكمة الوضع ، والترتيب ، والتبويب ، يشتمل على المنطق ، والطبيعيات ، والهندسة ، والحساب ، وعلم الهيئة ، وعلم الموسيقى ، والالهيات ، ولم يبق منه غير ثلاثة أجزاء ، وهي : المنطق ، والطبيعيات ، والالهيات .

ويقال أن تتمة النجاة لأبي عبيد الجوزجاني

وشرح النجاة لفخر الدين الرازي (٣) .

وترجم منطق النجاة الى اللغة الفرنسية بيبر فاتيه

وترجم الهيات النجاة الى اللغة اللاتينية المطران نعمة الله ابو كرم الماروني ، وطبعت هذه الترجمة عام ١٩٢٦ للميلاد

وطبع لأول مرة باللغة العربية في روما عام ١٥٩٣ للميلاد

---

(١) سابورخواست : بلدة بين خوزستان واصبهان .

(٢) مقدمة النجاة ص ٢ .

(٣) محفوظة في مكتبة أيا صوفيا بالقسطنطينية رقم ٣٤٣١ .

ألفه أواخر أيامه ، وهو آخر تصانيفه ، وكان يعده من أحسن كتبه ، ويضن به على غير أهله

قال في آخره : أيها الأخ إني قد لخصت لك في هذه الاشارات عن زبدة الحق ، وألقمتك قوي الحكم في لطائف الكلم ، فصنه عن الجاهلين والمبتذلين ، ولا تنشره إلا بين الذين تثق بنقاء سريرتهم ، واستقامة سيرتهم (١) ...

والكتاب اشارات الى اصول ، وتنبيهات تشتمل على تذئيب ووهم ، ونكتة ، وتذكرة ، وهداية ، وتحصيل ، ونصيحة وفائدة ، وغير ذلك من الحِكَم ، جمعت في نسقة أنماط ، أنى فيها على الطبيعيات ، والالهيات ، والتصوف ، والاخلاق وفيه تتفق آراؤه مع آراء الافلاطونية الحديثة ، كما تظهر آراؤه جلية مستقلة .

وللاشارات شروح متعددة منها :

١ — البشارات في شرح الاشارات للحكيم الابيوردي (٢) .

٢ — شرح فخر الدين الرازي (٣) ، وقد اكثر فيه الاعتراض حتى سمي جرحاً .

٣ — حل مشكلات الاشارات للمحقق الطوسي (٤) انتصر

---

(١) ج ٣ ص ٢٥٦ .

(٢) أوحد الدين علي بن اسحق الابيوردي المتوفى عام ٥٥١ للهجرة .

(٣) انظر شرح القانون ص ٥٥٧ ، وشرح النجاة ص ٧٦ . من هذا الكتاب .

(٤) الخواجة نصير الدين الطوسي المتوفى عام ٦٧٢ للهجرة .

فيه للشيخ ، ودفع عنه اعتراضات الرازي ، وقد فرغ منه سنة ٦٤٤ ، وعليه حواش كثيرة .

٤ ـ الاشارات الى معنى الاشارات للعلاّمة الحلي (١) .

٥ ـ بسط الاشارات للعلاّمة الحلي (٢) .

٦ ـ إيضاح المعضلات من شرح الاشارات للعلاّمة الحلي وهو شرح لشرح المحقق الطوسي .

٧ ـ المحاكمات بين شرحي الاشارات ، أي بين شرحي الامام الرازي ، والمحقق الطوسي ، للمولى قطب الدين الرازي (٣) .

٨ ـ زبدة النقض ، ولباب الكشف ، لنجم الدين أحمد ابن ابي بكر بن محمد النقجواني ، اكثر فيه من النقض والاعتراض على الشيخ .

٩ ـ شرح الاصول والجمل ، لابن كمونة (٤) شرحه رداً على شرح النقجواني ، وأتمه سنة ٦٧٦ (٥) .

ولكتاب الاشارات ترجمات الى اللغة الفارسية ، وهي :

ترجمة لبعض القدماء مطبوعة في طهران سنة ١٣١٤ شمسي ،

«١» جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلي المتوفى عام ٧٢٦ للهجرة .

«٢» منه نسخة خطية في النجف الاشرف .

«٣» قطب الدين محمد بن محمد الرازي ، البويهي المتوفى سنة ٧٦٦ للهجرة .

«٤» عز الدولة سعد الدين بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله ابن كمونة المتوفى ٦٩٠ للهجرة .

«٥» منه نسخ خطية محفوظة في النجف ، وفي المكتب الهندي .

ولعلها الترجمة الموجودة في المتحف البريطاني .

كما ترجمه السيد علي بن محمد بن اسد الله الاماي الاصفهاني (١) .

وترجمه السيد احمد البيشاوري (٢) .

النثر واللغة

والنثر عند ابن سينا يختلف اسلوبه حسب كتبه ، جمع بين الجزالة والفخامة ، فتارة تقرأه سهلا بليغ العبارة ، واخرى صعباً جاف الألفاظ ، وفي هذا ما يدل على أن له اليد الطولى في اللغة ، والبلاغة ، والفصاحة ، حتى ليحق له قوله مفتخراً.

أما البلاغة فاسألني الخبير بها
أنا اللسان قديماً والزمان فم

وقد سلك في مؤلفاته أساليب مختلفة حتى يكاد أن لا يشابه الواحد الآخر ، وفي كتابه الاشارات مثال على اختياره الألفاظ ، والنحت ، والصقل ، فكل إشارة منه صورة مستقلة بنفسها ، قائمة بذاتها ، وفي بعضها سجع موسيقي جميل، وهو خلاف كتابه الشفاء الذي لا أثر فيه للنحت ، والصقل كما انه استعمل الاسلوب الرمزي في اكثر رسائله ، ولم يتجرد عن اسلوبه العلمي فيها ، وفي رسالة الطير وحي بن يقظان ، وسلامان وأبسال ، ورسالة القدر ، أمثلة على اعتنائه

---

(١) مترجم الشفاء .

(٢) السيد احمد بن شهاب الدين الرضوي ، البيشاوري المتوفى عام ١٣٤٩ للهجرة .

بالصناعة اللفظية ، والتعمق في المعاني الفلسفية والغوامض والاحكام .

قال الجوزجاني : وفي مجلس عملاء الدولة جرى في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، وكان ابو منصور الجباني حاضراً ، فالتفت الى الشيخ قائلاً : إنك فيلسوف ، وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها . فأثر هذا الكلام في نفس الشيخ تأثيراً عميقاً ، فعكف على دراسة اللغة ثلاث سنوات كاملة ، واستدعى بكتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف ابي منصور الأزهري (١) فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها ، وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة ، وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد (٢) ، والآخر على طريقة الصابي (٣) ، والآخر على طريقة الصاحب (٤) ، وأمر بتجليدها ،

---

(١) محمد بن احمد بن الأزهر بن طلحة اللغوي له التهذيب في عشر مجلدات ولد سنة ٢٨٢ للهجرة وتوفي سنة ٣٧٠ .

(٢) ابو الفضل محمد بن ابي عبد الله الحسين العميد القمي ، الكاتب ، الشاعر ، تولى الوزارة لركن الدولة الديلمي سنة ٣٢٨ ، وتوفي في بغداد سنة ٣٦٠ للهجرة .

(٣) ابو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي ، الكاتب المشهور ، كان كاتب الانشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة البويهي ، وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، توفي في بغداد يوم الاثنين وقيل يوم الخميس لاثني عشر ليلة خلت من شوال ودفن في الشونيزية سنة ٣٨٤ للهجرة .

(٤) كافي الكفاة ابو القاسم اسماعيل بن عباد الطالقاني واحد زمانه علماً وفضلاً ، ولد في اصطخر أو في طالقان في ٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦ وقد استكتبه مؤيد الدولة من سنة ٣٤٧ تقريباً الى سنة ٣٦٦ حتى استوزره من سنة ٣٦٦ إلى وفاة المؤيد سنة ٣٧٣ ثم استوزره اخوه فخر الدولة ، وسافر همة الى الري وتوفي فيها ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ٣٨٥ للهجرة .

وإخلاق جلدها ثم أوعز إلى الامير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور ، وذكر انا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدها ، وتقول لنا مافيها ، فنظر أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيها فقال له الشيخ : إن ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها . . . وكان ابو منصور مجازفا فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، فقطن ابو منصور إن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ ، وان الذي حمله عليه ماجبهه به في ذلك اليوم فتنصل وأعتذر اليه . . . وان الشيخ صنف كتابا سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ، ولم ينقله الى البياض حتى توفي فبقي على مسودته لايهتدي احد الى ترتيبه (١)

ومن اسلوب ابن سينا في الصناعة اللفظية ، وإعتنائه بالسجع قوله في رسالة الطير :

هل لأحد من اخواني في آن يهب لي من سمعه قدرما القي اليه طرفا من أشجاني ، عساه أن يتحمل عني بالشركة بعض أعبائها ، فان الصديق لن يهذّب عن الشوب أخاه مالم يحسن في سرائك ، وضرائك عن الكدر صفاءه ، وأنى لك بالصديق المماحض ، وقد جعلت الخلة تجارة يفزع إليها اذا أستدعت الى الخليل داعية وَطر ، وترفض مراعاتها اذا عرض الأستغناء فلن يزار رفيق إلا اذا زارت عارضه ، ولن

(١) انظر ص ٢٠ ، ٢١ .

يذكر خليل إلا اذا ذكرت مآربه ، انهم إلا اخوان جمعتهم القرابة الألهية ، وألفت بينهم المجاورة العلوية ، ولاحظوا الحقائق بعين البصيرة وجلوا الوسخ ، وربن الشك عن السريرة ، فلن يجمعهم الا منادي الله .

ويلكم اخوان الحقيقة تحابوا ، وتصافوا ، وليكشفن كل واحد منكم لأخيه الحجب عن خالصة لبّه ليطالع بعضكم بعضا ، وليستكمل بعضكم ببعض .

ويلكم اخوان الحقيقة تقنعوا كما تتقنع القنافذ ، وأعلنوا بواطنكم وأبطنوا ظواهركم فبالله ان الجليّ لباطنكم وان الخفيّ لظاهركم .

ومن الأمثلة على تعمقه في النثر واللغة قوله في رسالة القضاء والقدر :

« . . . فاذا نحن بداري اليه حيبناه ، ورفهناه قدر نقض الحشمة (١) ومزج أسباب المباسطة ، وأخذ الحديث في شجونه فأقبل عليّ يقول : مالي أراك غير ذي العهد الذي عهدته ، وغير ذي الالف الذي عرفته ، أراك زِمرَ النشاط (٢) ذابل الورق ممصوص النقى (٣) معقول الأسلة رائب النفس (٤) واجم السحنة (٥) بعد عهدي بك ضَرِمَة (٦) تلتهب ،

« ١ » الحشمة : الاستيحاش .

« ٢ » زمر النشاط : قليله .

« ٣ » النقى : عظم العضل أو كل عظم ذي مخ ، والنقى المخ والأسلة من اللسان ، طرفه .

« ٤ » رائب النفس : فاترها ضعفها .

« ٥ » واجم السحنة : عبوس الهيئة منقبض .

« ٦ » الضرمة بالتحريك : الجمرة .

ونبعاً تموج ، وإعصاراً تعصف ، وشفرة هذاذة (١) الغرب ، وجواداً غير مكبوح الجماح ، فكأنما بلي غلبانك يفثأ (٢) وعنود عرقك يرقأ (٣) فقلت كذلك للدهر ضربات أخياف (٤) والمرء في تصاريفه فانه ليكسو ثم ينضو (٥) ويخلع ثم يخلع ، والتغيير ديدنه والتبديل هجيراه ، ولقد كنت على بينة من ثبوت القدر بقياس معتبر فتلفّق اليه (٦) من التجارب مارفده وعضده وإذا شهد القياس للحق وشهدت التجربة للقياس تأكد الايمان وعقدت النفس على سرده . . . (٧) .

التفسير

وقد حاول ابن سينا تفسير القرآن الكريم على طريقته الفلسفية معتمداً على العقل دون النقل ، ومن الأمثلة على تفسيره الآية الكريمة : « ومن شرّ غاسق إذا وقب » المستعيذ هو النفس الجزئية للانسان الجزئي من الشرور اللازمة في الاشياء ذوات التقدير الواقعة في صقع القدر . ثم ان أعظم تلك الامور

«١» الشفرة بالفتح : السكين العظيم ، والغرب : الحد . والهذاذة : القطاعة .

«٢» فثأ الغضب : كجمع سكن حدته .

«٣» رقأ الدمع والدم سكن أو جف ودابه قطع .

«٤» أخياف : شتى .

«٥» نضا ثوبه : خلعه .

«٦» تلفق اليه : انضم .

«٧» السرد : النسج ، ولعل الضمير يرجع الى القياس .

تأثيراً في الاضرار بجوهر النفس الانسانية الاشياء الداخلة معها في اهاب البدن وهي التي تكون آلة لها من وجه ووبالا عليها من وجه ، فمن وجهة كلها عليه ، ومن وجهة كلها له وهي القوى الحيوانية والقوى النباتية . أما القوى الحيوانية فهي ظلمة غاسقة متكدرة ، وقد علمت ان المادة هي منبع الظلمة والشر والعدم ، والنفس الناطقة المستعيذة خلقت في جوهرها نقية صافية منزهة عن كدورات المادة وعلائقها قابلة لجميع الصور والحقائق . ثم تلك اللطافة والأنوار لاتزول عنها الا بهيئات ترتسم فيها من القوى الحيوانية التخيلية والوهمية ، وغير ذلك من الشهوة والغضب ، والامور التي تحصل في الشيء من الخارج تكون متجددة ، فاذا تلك الظلمة متجددة . ولما كان جوهر النفس الناطقة تتكدر بتلك الهيئات الغاسقة عندما تغلب أي تدهم وتقبل أوردها عقيب ما هو أعم منها فان الشرور الحاصلة من وقب الغاسق مشاركة لشر ما خلق اشتراك الأخص والأعم ، لكنه لما كان لهذا الخاص مزية في صيرورة النفس مظلمة لا جرم أخّر ذكرها ليقرر في النفس هيئة كونها من أعظم الرذائل فيعظم باعث الاجتناب عنها ويقوى الصارف عن مخالطتها .

وللشيخ الرئيس من التفاسير :

تفسير سورة الاخلاص .

تفسير المعوذة الاولى .

تفسير المعوذة الثانية .

تفسير سورة الاعلى .

تفسير آية « ثم استوى » .

ومن آثاره المفقودة تفسير آية الكرسي .

الشعر

ولابن سينا مجموعة من الشعر متفرقة في بطون الكتب ، والمجاميع ، وهو في نظمه أقرب الى الفيلسوف منه الى الاديب فلا تخلو له مقطوعة شعرية دون أن تمازجها الحكمة ، وتتخللها المصطلحات الفلسفية كذكر اللاهوت ، والناسوت ، والخير ، والعلة ، وطريقته في النظر الى الامور .

لذلك جاء شعره وسطاً بين شعراء العربية في عصره ، ولو إنه تفرغ له واهتم به اهتمامه بالفنون الاخرى لكان معدوداً في الطليعة من الشعراء . على ان له في النظم الفارسي مكانة لا تقل عن نظم مشاهير الشعراء ، وان له رباعيات صوفية مفعمة بالافكار .

قال المستشرق « اته »: ان ابن سينا قد تقدم على الخيام في استعمال الرباعيات وإنه أول من أنشأ الشعر التيوصوفي .

وأكثر ما تناوله في شعره ذكر النفس ، والحكمة ، والزهد ، والشيب ، والخمر ، والنساء ، كما أشار الى فلسفة الحياة ، وشكوى الزمان ، والحساد ، والمناجات ، ووصف الحب ، والكرم ، والموت ، وغير ذلك من الاغراض .

ولقد جمع ابن سينا الآراء المتعلقة باتصال النفس بالجسد

فلأي شيء أهبطت من شامخ سام الى حفر الحضيض الأوضع؟
إن كان أرسلها الاله لحكمة
طُويت عن الفطن اللبيب الأروع
فهبوطها إن كان ضربة لازم لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية في العالمين خرقها لم يُرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع!

وقال في النفس والحكمة والمعرفة:

هذب النفس بالعلوم لترقى وذر الكل فهي للكل بيت
إنما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت
فاذا اشرقت فانك حي واذا أظلمت فانك ميت

وقال في هذا المعنى أيضاً:

خير النفوس العارفات ذواتها وحقيق كيات ماهياتها
وبما الذي حلت ومم تكونت أعضاء بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حس ركبا
هلا كذاك سماتها كسماتها

وقال في المناجاة:

محرك الكل أنت القصد والغرض
وغاية ما لها إن قستها غرض

من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك نعلم إنها مرض

وقال ايضاً :

إعتصام الورى بمعرفتك عجز الواصفون عن صفتك
تب علينا فاننا بشرٌ ما عرفناك حق معرفتك

وقال في الشيب :

هو الشيب لا بدَّ من وخطه فقرضه واخضبه او غطه
أ أقلقك الطل من وبله ! جزعت من البحر في شطه !

وقال في الزمان :

أشكو الى الله الزمان فصرفه أبلي جديد قواي وهو جديد
حن إليّ توجهت فكأنني قد صرت مغناطيس وهي حديد

وقال في كتمان السر :

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم إلا الحذر
أسيرك سرك إن صنته وأنت أسير له إن ظهر

وقال في طلب المعالي :

أروم من المعالي منتهاها ولا أرضى بمنزلة دنيئه
فأما نيل غاية ما أرجّي وأما أن توسدني المنيه

وقال في معنى عرض له :

هبت نسيم وصالكم سحراً بحدائق للشوق في قلبي
فاهتز غصن العقل من طرب فتناثرت درر من الحب
وبدت شموس الوصل خارقة بشعاعها لسرادق الحجب
فبقيت لا شيء أعاينه إلا ظننت بأنه ربي

وقال ايضاً :

وجماد ظل ينمو في العلى يا لشيء هو نام وجمـاد

وقال ايضاً :

خفيت على الجهال أعلام الهدى
كالشمس خافيـة على العميان

وقال في الخمر :

حيها في الكأس صرفاً غلبت ضوء السراج
ظنها في الكأس ناراً فطفا هـا بالمزاج

وقوله ايضاً وفيه معنى :

شربنا على الصوت القديم قديمة لكل قـديم أول هي أول
ولو لم تكن في حيز قلت انها هي العلة الأولى التي لا تعلل

وقال في الخمر والنساء :

أساجية الجفون أكل خود سجاياها استعرن من الرحيق
هي الصهباء مخبرهـا عدوٌ وإن كانت تناغي عن صديق

وقال في التصوف :

قم فاسقنيها قهوة كدم الطِلا
يا صاح بالقدح الملا بين الملا
خمراً تظل لها النصارى سجداً
ولها بنو عمران أخلصت الولا
لو أنها يوماً وقد ولغت بهم
قالت ألست بربكم قالوا بلى

وقال ايضاً :

نزل اللاهوت (١) في ناسوتها (٢)

كنزول الشمس في ابراج يوح (٣)

قال فيها بعض من هام بها

مثل ما قال النصارى في المسيح

هي والكأس وما مارجها

كأب متحد وابن وروح

الشعر الفارسي

من قوله (٤) :

أز قعر گيل سياه تا اوج زحل

كردم همه مشكلات گيتي را حل

بيرون جستم زقيد هر مكر وحيل

هر بند گشاده شد مگر بند أجل

الترجمة

لقد حللت عقدة كل مشكلة في العالم من قعر الطين الأسود في [أسفل الأرض] الى أوج سيارة زحل ، وانتفضت

---

(١) اللاهوت : الألوهية ، وأصله (لاه) معنى اله زيدت فيه الواو والتاء مبالغة كما زيدتا في جبروت .

(٢) الناسوت : الطبيعة الانسانية وهو (الناس) زيد في آخره واو وتاء كملكوت .

(٣) يوح ويوحى : من أسماء الشمس .

(٤) هذه الرباعيات عربها نظماً ونثراً الاستاذ محمد الخليلي . انظر معجم ادباء الأصباء ج ١ .

من قيد كل مكر وحيلة [في العالم] فانفتح لي كل مغلق ، إلا مغلق الأجل .

وقوله ايضاً وفيه معنى :

مائيم بعفو تو تولاً كرده
وز طاعت ومعصيت تبرّا كرده
آنجا كه عنايت تو باشد باشد
ناكرده چو كرده كرده چون ناكرده

الترجمة

نحن الذين تولينا عفوك ، وتبرأنا من كل طاعة ومعصية ، إذ كل شيء شملته عنايتك ، أصبح فعله كعدمه ، وعدمه كفعله أي كان العصيان والطاعة فيه على السواء .

وقوله :

كفرجو مني گزاف وآسان نبود
صكتر از ايمان من ايمان نبود
در دهر يكي چون من ومن هم كافر
پس درهمه دهر يك مسلمان نبود

الترجمة

إن كفري « تكفيري » لم يكن بالشيء السهل ، إذ لم يكن ايمان أحكم وأرسخ من ايماني ، فاذا كفرت وأنا المسلم الوحيد في هذا الدهر ، فلا مسلم إذاً في جميع الدهور .

وقال :

زلف تو جو أفعي پي شر مي گردد
داني پس پشتت زچه بر مي گردد
چون ديد كه لعل تو زمرد دارد
أفعي شد ودر كوه و كمر مي گردد

الترجمة

إن أصداغك كالأفاعي تنساب طالبة للشر ، فهل تعلم لماذا انعطفت الى ورائك ؟ ذلك لأنها لما رأت الزبرجد في لعل شفاهك خافت فأصبحت أفاعياً تطوف وتنساب على الظهر والجبل.

وقال :

در پرده سخن نماند كه معلوم نشد
كم ماند زأسرار كه مفهوم نشد
در معرفتت چو نيك فكري كردم
معلوم بشد كه هيچ معلوم نشد

الترجمة

لم يبق وراء ستار الكلام شيء غير معلوم ، ولم يبق شيء من الأسرار غير مفهوم إلا القليل ، ولكن لما فكرت في معرفتك جيداً وأمعنت النظر فيها علمت أني لا أعلم منها شيئاً .

وقال :

بر صفحهٔ چهرها خط لم يزلي
معكوس نوشته است نام دو علي
بك لام ودو عين بادو ياي معكوس
از حاجب عين أنف با خط جلي

الترجمة

لقد رقم اسم علي مرتين معكوساً على صفحات الوجوه بخط جلي أزلي ، فترى العينين عينين ، والأنف لاماً مشتركة بينهما والحاجبين يائين معكوسين .

وقال :

تا باده عشق در قدح ريخته اند
وان در پي عشق عاشق انگيخته اند
با جان وروان بو علي مهر علي
چون شير وشكر بهم برآميخته اند

الترجمة

منذ أراقوا خمرة العشق في الأقداح ، وصوّروا العاشق يسير وراءها ، مزجوا حبّ علي بن ابي طالب مع روح أبي علي ونفسه مزج السكر بالحليب .